كامل كيلاني

قصص فكاهية

عمارة

رسوم : عزة سليمان

١ ـ «عُمارَةُ» في بَيْتِ أُمِّهِ

كانَ «عُمارَةُ» وَلَدًا شَدِيدَ الْكَسَلِ. وَكانَ يَعِيشُ مَعَ أُمِّهِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تَكْسِبُ قُوتَهَا وَقُوتَ وَلَدِهَا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ.

فَقَدْ كَانَتْ أُمُّ «عُمارَةَ» تَخِيطُ الْمَلابِسَ لِلْجِيرانِ، وَتَقْتاتُ ـ هِيَ وَوَلَدُهَا «عُمارَةُ» ـ بِما تَأْخُذُهُ مِنَ الأَجْرِ الْقَلِيلِ عَلَى عَمَلِهَا الْكَثِيرِ.

وَكانَ «عُمارَةُ» لا يَعْمَلُ شَيْئًا طُولَ النَّهارِ، بَلْ يَقْضِي أَكْثَرَ وَقْتِهِ فِي النَّوْمِ وَالْجُلُوسِ فِي الْبَيْتِ. وَكانَ يُهْمِلُ دُرُوسَهُ، وَلا يَحْفَظُ مِنْهَا شَيْئًا. وَكانَ إِذا خَرَجَ ـ لِشِراءِ شَيْءٍ مِنَ السُّوقِ ـ غابَ طُولَ النَّهارِ، ثُمَّ عادَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْتَرِيَ شَيْئًا.

وَكانَتْ أُمُّهُ تُوَبِّخُهُ عَلَى كَسَلِهِ، وتُعَاقِبُهُ عَلَى إِهْمَالِهِ؛ فَلا يَنْفَعُ فِيهِ تَوْبِيخٌ، وَلا يُؤَثِّرُ فِيهِ عِقابٌ؛ حَتَّى يَئِسَتْ أُمُّهُ مِنْ إِصْلاحِهِ.

٢ ـ إِخْراجُهُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ

ومازالَ «عُمارَةُ» يَكْسَلُ في دُرُوسِهِ، ويُهْمِلُ حِفْظَها، وَيَتَأَخَّرُ ـ في كَثِيرٍ مِنَ الأَيَّامِ ـ عَنْ مَوْعِدِ الْعَمَلِ في الْمَدْرَسَةِ، حَتَّى أُخْرِجَ مِنْهَا لِكَسَلِهِ وَإِهْمَالِهِ.

وَلَمَّا جاءَ مَوْعِدُ الْمَدْرَسَةِ في الْيَوْمِ التَّالي، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهَا، سَأَلَتْهُ أُمُّهُ غاضِبَةً:

«لِمَاذَا لَمْ تَذْهَبْ إِلَى الْمَدْرَسَةِ في هذا الْيَوْمِ؟ وَما بالُكَ تَتَثاءَبُ أَيُّهَا الْكَسْلانُ؟».

فَقَصَّ عَلَيْها ما حَدَثَ لَهُ.

فاشْتَدَّ غَضَبُهَا عَلَيْهِ، وَقَالَتْ لَهُ مُتَوَعِّدَةً:

«لَقَدْ حَذَّرْتُكَ عَاقِبَةَ التَّهاوُنِ وَالْكَسَلِ، فَلَمْ تَسْمَعْ نَصِيحَتِي.

وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْكَ ـ بَعْدَ أَنْ أُخْرِجْتَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ـ إِلَّا أَنْ تَذْهَبَ لِتَتَعَلَّمَ أَيَّ صِناعَةٍ، أَوْ تَعْمَلَ أَيَّ عَمَلٍ؛ لِتَكْسِبَ

قُوتَ يَوْمِكَ بِنَفْسِكَ. وَإِلَّا طَرَدْتُكَ مِنَ الْبَيْتِ، كَما طَرَدُوكَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ!».

٣ ـ «عُمارَةُ» وَالزَّارِعُ

فَلَـمْ يَجِدْ «عُمارَةُ» أَمامَهُ غَيْرَ الْعَمَلِ؛ خَوْفًا عَلَى نَفْسِـهِ مِـنَ الطَّرْدِ. فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِـهِ ـ في الْيَوْمِ الأَوَّلِ ـ وَظَلَّ يَعْمَلُ مَـعَ زَارِعٍ طُولَ النَّهَـارِ. فَأَعْطَاهُ الزَّارِعُ قِرْشًـا أَجْرًا لَهُ عَلَى عَمَلِهِ.

فَسَارَ «عُمارَةُ» في طَرِيقِهِ عائِدًا إِلَى بَيْتِهِ ـ وَالْقِرْشُ في يَدِهِ ـ فَرَأَى قَناةً في طَرِيقِهِ؛ فَقَفَزَ ـ بِكُلِّ قُوَّتِهِ ـ لِيَعْبُرَ الْقَناةَ؛ فَسَقَطَ الْقِرْشُ مِنْ يَدِهِ في الْمَاءِ، وَبَحَثَ عَنْهُ كَثِيرًا فَلَمْ يَجِدْهُ!

فَعادَ إِلَى بَيْتِهِ مُتَأَلِّمًا حَزِينًا.

وَلَمَّا قَصَّ عَلَى أُمِّهِ ما حَدَثَ لَهُ، قالَتْ لَهُ مَدْهُوشَةً:

«كانَ عَلَيْـكَ أَنْ تَضَعَ الْقِرْشَ في جَيْبِكَ؛ حَتَّى لا يَسْـقُطَ مِنْ يَدِكَ!».

فَقالَ لَها:

«سَأَعْمَلُ بِنَصِيحَتِكِ مُنْذُ الْغَدِ، فَلا تَغْضَبِي عَلَيَّ يا أُمِّي».

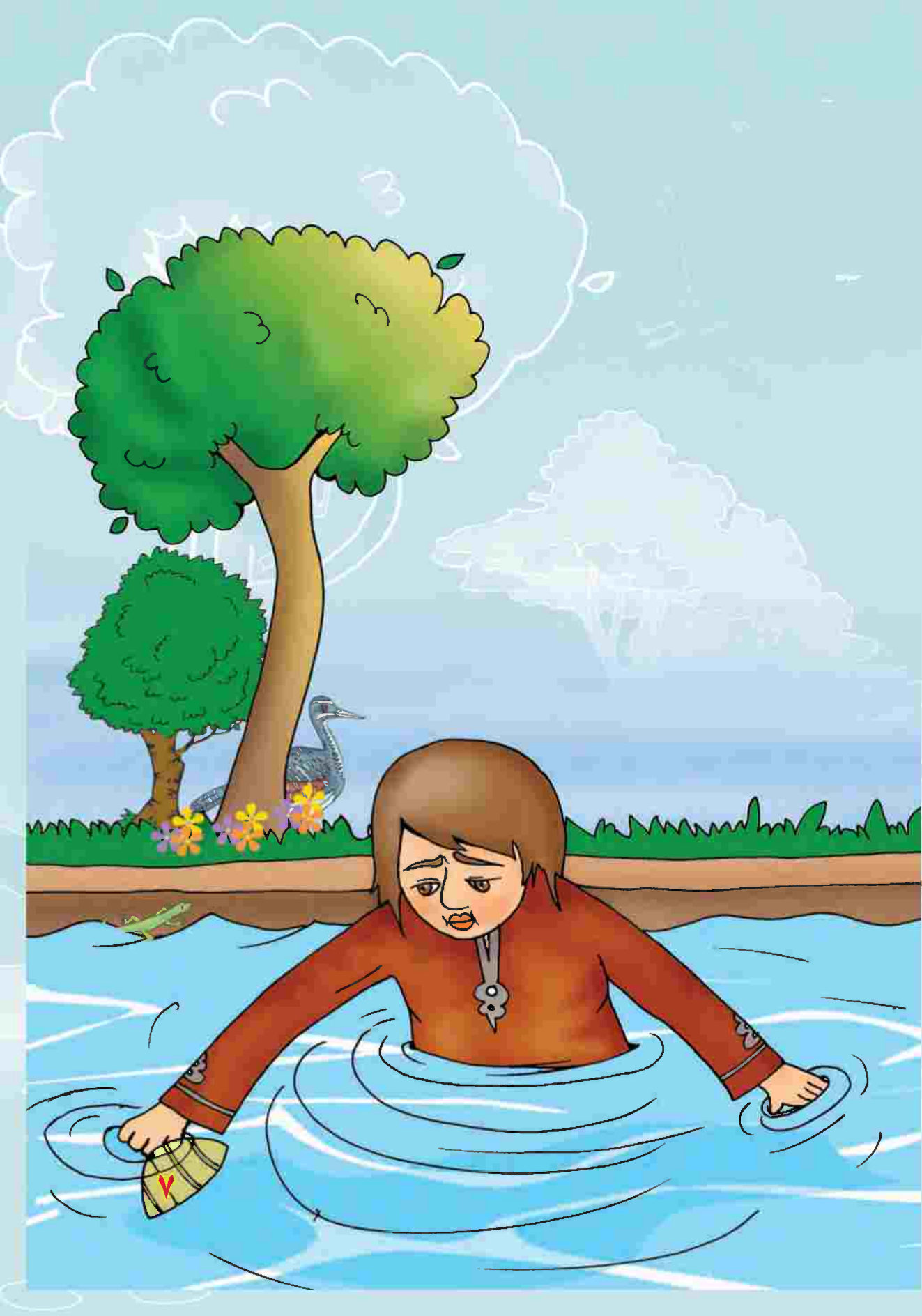

٤ ـ قَدَحُ اللَّبَنِ

وَفي الْيَوْمِ الثَّانِي أَعْطاهُ الزَّارِعُ قَدَحًا مِنَ اللَّبَنِ.

فَوَضَعَهُ «عُمارَةُ» في جَيْبِهِ، وَلَمْ يَكَدْ يَمْشِي قَلِيلًا، حَتَّى سالَ اللَّبَنُ عَلَى مَلابِسِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ في الْقَدَحِ!

وَلَمَّا عَلِمَتْ أُمُّهُ ما حَدَثَ لَهُ، قالَتْ لَهُ مَدْهُوشَةً:

«وَيْحَكَ! لِمَاذَا لَمْ تُغَطِّ الْقَدَحَ، حَتَّى لا يَسِيلَ مِنْهُ اللَّبَنُ؟».

فَقالَ لَها:

«سَأَفْعَلُ ذلِكَ في الْمَرَّةِ التَّالِيَةِ. فَلَا تَغْضَبِي عَلَيَّ يا أُمِّي».

٥ ـ الدَّجاجَةُ الصَّغِيرَةُ

فَلَمَّا جاءَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، أَعْطَاهُ الزَّارِعُ دَجاجَةً صَغِيرَةً؛ أَجْرًا لَهُ عَلَى عَمَلِهِ، فَوَضَعَهَا في عُلْبَةٍ، وَأَحْكَمَ غِطاءَهَا!

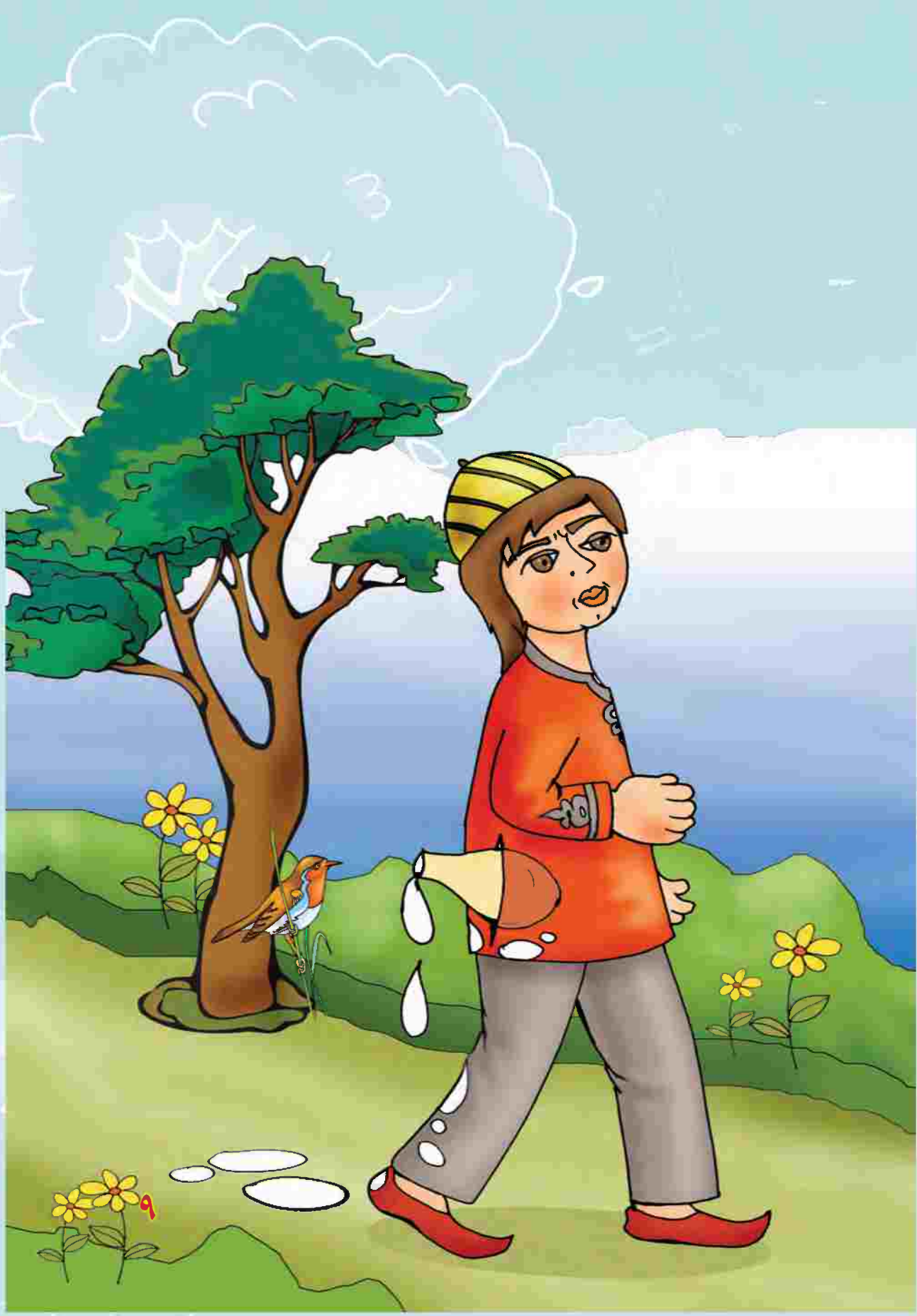

فَلَمَّـا وَصَلَ إِلَى الْبَيْـتِ فَتَحَ الْعُلْبَةَ، فَوَجَـدَ الدَّجاجَةَ مَيِّتَةً!

فَوَبَّخَتْهُ أُمُّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَقالَتْ لَهُ مَدْهُوشَةً:

«وَيْحَـكَ! أَمـا تَعْلَمُ أَنَّ الْهَـوَاءَ ضَرُورِيٌّ لِحَيَاةِ الإِنْسـانِ والحَيَوانِ وَالنَّباتِ؟! فَكَيْفَ تَعِيشُ الدَّجاجَةُ بَعْـدَ أَنْ غَطَّيْتَ الْعُلْبَةَ وَحَرَمْتَها أَنْ تَتَنَفَّسَ الْهَواءَ؟! لماذا لَمْ تَحْمِلْهَا بِيَدِكَ؟!

فَقَالَ لَهَا مُتَضَرِّعًا نادِمًا:

«سَأَفْعَلُ ذَلِكِ فِي الْمَرَّةِ التَّالِيَةِ، فَلَا تَغْضَبِي عَلَيَّ يا أُمِّي».

٦ ـ قِطُّ الْخَبَّازِ

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ذَهَبَ «عُمارَةُ» إِلَى خَبَّازٍ، فَكافَأَهُ الْخَبَّازُ عَلَى عَمَلِهِ بِقِطٍّ أَبْيَضَ؛ فَفَرِحَ بِهِ «عُمارَةُ» وَحَمَلَهُ بِيَدِهِ عائِدًا ـ فِي طَرِيقِهِ ـ إِلَى الْبَيْتِ.

وَما كادَ يَمْشِي خَطَواتٍ قَلِيلَةً حَتَّى خَمَشَهُ الْقِطُّ بِمَخالِبِهِ (أَعْنِي: خَدَشَهُ بِأَظافِرِهِ)، وَفَرَّ هارِبًا مِنْهُ! فَلَمَّا وَصَلَ «عُمارَةُ» إِلَى بَيْتِهِ، قَصَّ عَلَى أُمِّهِ مَا حَدَثَ لَهُ، فَقالَتْ لَهُ مَدْهُوشَةً:

«ما أَعْجَبَ أَمْرَكَ يا «عُمارَةُ»! لِمَاذَا لَمْ تَرْبِطِ الْقِطَّ بِحَبْلٍ، وَتَجُرَّهُ بِهِ إِلَى الْبَيْتِ؟!».

فَقالَ لَهَا:

«سَأَفْعَلُ ذَلِكِ فِي الْمَرَّةِ التَّالِيَةِ، فَلَا تَغْضَبِي عَلَيَّ يا أُمِّي».

٧ ـ فَخِذُ الْخَرُوفِ

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْخامِسُ، ذَهَبَ «عُمارَةُ» إِلَى قَصَّابٍ (أَيْ: جَزَّارٍ)، فَكافَأَهُ عَلَى نَشاطِهِ بِفَخِذِ خَرُوفٍ.

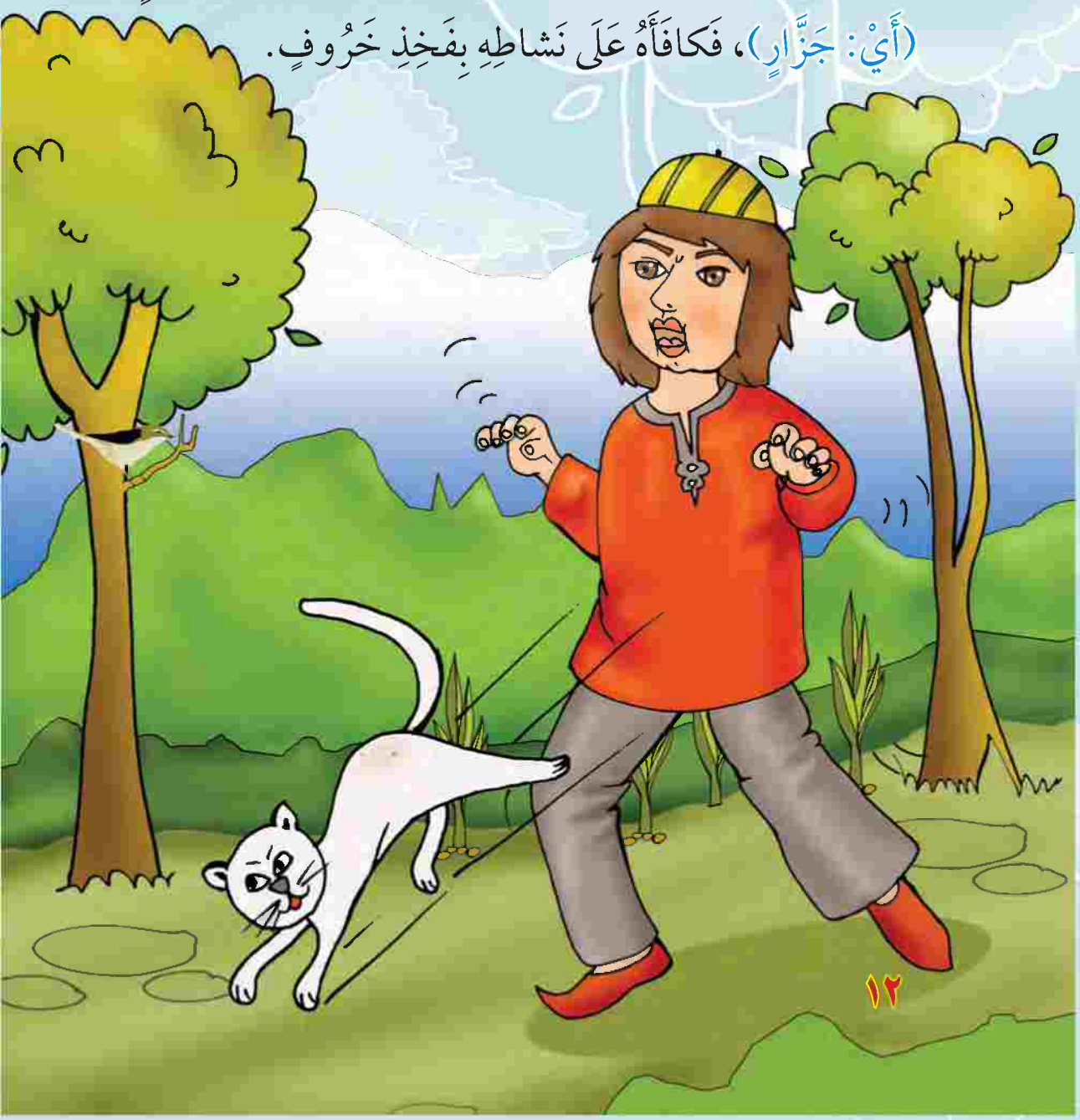

فَرَبَطَها «عُمارَةُ» بِحَبْلٍ، وَمازالَ يَجُرُّهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْبَيْتِ، فَرأَتْ أُمُّهُ فَخِذَ الْخَرُوفِ مُلَطَّخَةً بِالْوَحَلِ وَالأَقْذارِ؛ فَرَمَتْهَا غاضِبَةً، وَقالَتْ لَهُ:

«وَيْحَكَ يا «عُمارَةُ»! أَمَا كَانَ خَيْرًا لَكَ أَنْ تَحْمِلَ هذِهِ الْفَخِذَ عَلَى كَتِفِكَ؟».

فَقالَ لَها:

«سَأَفْعَلُ ذَلِكِ فِي الْمَرَّةِ التَّالِيَةِ، فَلَا تَغْضَبِي عَلَيَّ يا أُمِّي».

٨ ـ جَحْشُ الرَّاعِي

وَفِي الْيَوْمِ السَّادِسِ، ذَهَبَ «عُمارَةُ» إِلَى رَاعِي غَنَمٍ، وَظَلَّ يَرْعَى الْغَنَمَ أَكْثَرَ النَّهَارِ. فَأَعْطَاهُ الرَّاعِي جَحْشَهُ لِيَرْكَبَهُ وَيَعُودَ بِهِ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي.

وَكانَ «عُمارَةُ» قَوِيَّ الْجِسْمِ؛ فَحَمَلَ الْجَحْشَ عَلَى كَتِفَيْهِ، وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ عائِدًا إِلَى الْبَيْتِ!

٩ ـ بِنْتُ السُّلطانِ

وَمَرَّ «عُمارَةُ» عَلَى قَصْرِ «سَيِّدَةِ الْحِسَانِ»: بِنْتِ «سُلْطانِ الزَّمـانِ». وَكَانَتْ واقِفَةً في شُـرْفَةِ الْقَصْرِ، فَلَمَّا رأَتْهُ ـ وَهُوَ يَحْمِلُ الْجَحْشَ عَلَى كَتِفَيْهِ ـ عَجِبَتْ أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَظَلَّتْ تَضْحَـكُ مِنْ مَنْظَـرِهِ. وَكانَتْ «سَـيِّدَةُ الْحِسـانِ» مَرِيضَةً، مُنْقَبِضَةَ الصَّدْرِ؛ فَلَمَّا ضَحِكَتْ شُفِيَتْ مِنْ مَرَضِهَا.

فابْتَهَـجَ السُّـلْطَانُ بِشِـفَائِهَا، وَكَافَأَ «عُمـارَةَ» عَلَى ذلِكَ أَجْزَلَ مُكافَأَةٍ؛ لأَنَّهُ كانَ سَبَبَ شِفَائِهَا.

١٠ ـ خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَفي الْيَـوْمِ التَّالي، أَرْسَـلَ السُّـلْطَانُ إِلَى «عُمـارَةَ» وَأُمِّهِ، وَأَسْـكَنَهُمَا قَصْـرَهُ، وَأَكْرَمَهُمَـا أَحْسَـنَ إِكْـرَامٍ. وَوَكَّلَ بِـ «عُمارَةَ» مُدَرِّسًا يُعَلِّمُهُ.

فَأَقْبَلَ «عُمارَةُ» عَلَى دُرُوسِهِ ـ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ـ بِنَشاطٍ عَجِيبٍ، وَتَرَكَ الْكَسَلَ. وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْهِ زَمَنٌ قَلِيلٌ، حَتَّى بَرَعَ فِي الْعُلُومِ، وَأَصْبَحَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي النَّشاطِ وَالذَّكاءِ، بَعْدَ أَنْ كانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْكَسَلِ وَالْغَباءِ.

وَأُعْجِبَ السُّلْطانُ بِأَدَبِهِ وَنَشَاطِهِ، فَزَوَّجَهُ بِنْتَهُ.

وَبَعْدَ أَعْوامٍ ماتَ السُّلْطانُ، فَخَلَفَهُ «عُمارَةُ» عَلَى الْمُلْكِ، وَصارَ ـ مِنْ بَعْدِهِ ـ سُلْطَانًا، فَحَكَمَ الْبِلادَ بِالْعَدْلِ.

وَعَاشَ «عُمارَةُ» وَزَوْجَتُهُ وَأُمُّهُ فِي نِعْمَةٍ وَسُرُورٍ طُولَ الْحَياةِ.